موقف الدارسين (القدماء والمحدثين) من الإشارات التاريخية في الشعر الجاهلي

الباحثة/ مها عبد الله القريني

محاضر تخصص (أدب قديم) قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة الملك سعود

المملكة العربية السعودية

المقدمة:

كان للدارسين من القدماء والمحدثين أثناء دراستهم الشعر الجاهلي موقفهم من الإشارات التاريخية إلى أنبياء الله ورسله وبعض الأمم الغابرة التي وردت في بعض أشعار الجاهليين، فكان موقفهم ما بين موثق لذلك الشعر الذي وردت فيه تلك الإشارات وشارح له، وما بين شاكٍ وخائض فيه ومدع بطلانه، فتعددت بذلك الآراء، واختلفت على إثرها المواقف.

وسنشير هنا إلى أهم آراء القدماء في هذا الشأن، وهي آراء تأتي إشارات جاءت مبثوثة في مصادر عدة، ومن ذلك موقف ابن هشام (٢١٨هـ)[١]، وابن سلام الجمحي (٢٣٢هـ)[٢] الرائد من الأشعار المنسوبة إلى الأمم البائدة التي ذكرها ابن إسحاق في السيرة (١٥٠هـ)، وإن كان التحقق من هذه الأشعار ليس موضوع هذه الدراسة فهي من الأشعار الثابت نحلها على أصحابها، وإنما المهم منهجية هؤلاء العلماء في الرد على ناحلي الشعر التي تعتمد على الإحاطة بالموضوع من جوانبه المختلفة، فكانت آراؤهم نبراسًا لمن جاء بعدهم.

وإذا كان هؤلاء قد تعقبوا الشعر المفتعل الذي أورده ابن إسحاق وكانوا على علم به، فهذا أيضًا الجاحظ (٢٥٥هـ) يذكر قول النابغة الذبياني[٣]:

---

(١) من المعلوم أن ناصر الدين الأسد قد كتب فصلاً عن تعقب ابن هشام لابن إسحاق في السيرة في كتابه: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص٣٣٥-٣٤٥.

(٢) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص٨.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص٢٢٢.

فألفيـــتُ الأَمَانـــةَ لَـــمْ تَخُنْهَـــا كَـــذَلِكَ كَـــانَ نُـــوحٌ لاَ يَخُـــونُ

وذكر بأن هذا الكلام لا وجه له، وإنما ذلك كقولهم كان داود لا يخون، وكان موسى لا يخون[(١)]، وجعل الجاحظ هذا البيت مصنوعًا في الإسلام؛ لأنه في رأيه يناسب الآية الكريمة: إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [(٢)] فأمين تعني لا يخون في البيت المذكور، أما ابن سلام الجمحي فقد ذكر أن أهل العلم أجمعوا على أن النابغة لم يقل هذا[(٣)].

وانظر إلى قصيدة الأفوه الأودي التي جاء فيها ذكر جرهم[(٤)]:

رَيَّـــشَتْ جُـــرْهُمُ نَـــبْلاً فَرَمَـــى جُرْهُمًـــا مِـــنْهُنَّ فُـــوقٌ وَغِـــرَارُ

إلى قوله:

كَـــشِهَابِ القَـــذْفِ يَـــرْمِيكُمْ بِـــهِ فَـــارِسٌ فِـــي كَفِّـــهِ لِلْحَـــرْبِ نَـــارُ

فهذه القصيدة عند العالم المتحري، ابن قتيبة (٢٧٠-٢٧٦هـ) "من جيد شعر العرب"[(٥)]، إضافة إلى أن أبا العلاء المعري، لم ينكرها[(٦)]، أما الجاحظ فيقول: "أما ما رويتم من شعر الأفوه الأودي فلعمري إنه لجاهلي، وما وجدنا أحدًا من الرواة يشك في أن القصيدة مصنوعة، وبعد فمن أين علم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم، وهو جاهلي؟ ولم يَدّع هذا أحد قط إلا المسلمون، فهذا دليل آخر على أن القصيدة مصنوعة"[(٧)].

ثم يعلل ذلك بقوله: "وبعد فمن أين علم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم، وهو جاهلي؟!".

---

(١) الجاحظ: الحيوان، ٢٤٦/٢.

(٢) الشعراء: آية ١٠٦-١٠٧.

(٣) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص٦٠.

(٤) الميمني: الطرائف الأدبية، ص١١-١٣.

(٥) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢٢٣/١.

(٦) أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، تحقيق وشرح: عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ"، ط٤ (القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص٢٩٧.

(٧) الميمني: الطرائف الأدبية، ص١١، وانظر: الجاحظ: الحيوان، ٢٨٠/٦.

إذن نحن أمام رأيين مختلفين، ولكن ما عناه الجاحظ بإنكار الرواة لها، هو أن تكون سابقة على الميلاد، أي على ميلاده –صلى الله عليه وسلم– سنة ٥٧٠م، إذ يعد، ما جاء عن الرجم قبل هذا التاريخ مصنوعًا، أما إذا جاء بعده فهو وإن يكن قائله لم يدرك الإسلام –أي جاهلي– فإنه أدرك علامة من علامات النبوة –أي الإسلام– وهي رجم الشياطين[١].

وفي قصيدة منسوبة لزهير بن أبي سلمى، ذكر فيها بعض الملوك الذين سادوا ثم بادوا، في قوله[٢]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَهْلَكَ تُبَّعًا وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بنَ عادٍ وَعَادِيَا

وَأَهْلَكَ ذَا القَرْنَيْنِ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى وَفِرْعَونَ أَرْدَى كَيْدَه وَالنَّجَاشِيَا

يقول صعودا والأعلم الشنتمري في شرحيهما لديوان زهير: "هذه القصيدة قالها زهير يذكر النعمان بن المنذر لما هرب من كسرى ولم تدخله طيّ جبلها، فلقيته بنو رواحة من عبس وكان للنعمان يد في بني عبس، فساروا معه، فأثنى عليهم خيرًا وودعهم..."[٣].

إذن القصيدة عند صعودا والأعلم لزهير، إلا أنها عند صنّاجة الرواة والنقلة، الأصمعي (٢١٥هـ): ليست لزهير، ويقول: "هي لصرمة الأنصاري، ولا تشبه كلام زهير..."[٤].

والواقع أن إنكار الأصمعي لها كان بسبب ما تردد في هذه القصيدة من معانٍ لا تشبه كلام زهير، كالدعوة إلى الإيمان بالقضاء والقدر، في قوله[٥]:

بَدَا ليَ أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى وَلاَ سَابِقًا شَيْئًا إذَا كَانَ جَائِيَا

والدعوة إلى تقوى الله ومخافته، في قوله[٦]:

(١) فضل العماري: تأصيل الشعر الجاهلي، ط١ (الرياض: مركز حمد الجاسر الثقافي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ص٣٥٤.
(٢) البغدادي: خزانة الأدب، ٤٩٣/٨.
(٣) انظر: البغدادي: خزانة الأدب، ٤٩٤/٨.
(٤) البغدادي: خزانة الأدب، ٤٩٤/٨.
(٥) البغدادي: خزانة الأدب، ٤٩٢/٨.
(٦) البغدادي: خزانة الأدب، ٤٩٢/٨.

بَـــدَا لـــيَ أَنَّ اللهَ حَـــقٌّ فَزَادَنـــي مِنَ الحَقِّ تَقْـوَى اللهِ مَـا قَـدْ بَـدَا لِيَـا

ويدخل ضمن هذا، اجتهاد علماء الشعر ونقاده في تصحيح الـشعر، ومعرفـة وجه الرداءة أو الغلط فيه –إن ورد– كما في قول زهير بن أبي سلمى في معلقته[١]:

فَتُنْـتِجْ لَكُـمْ غِلْمَـانَ أَشْـأَمَ كُلُّهُـمْ كَـأَحْمَرِ عَـادٍ ثُـمَّ تُرْضِـعْ فَـتَفْطِمِ

يقول القيرواني (٤٥٦هـ) في العمدة في باب أغاليط الشعراء والـرواة: "قـال الأصمعي: وأخطأ زهير في قوله: كأحمرِ عاد، ولا أدري لِمَ خطَّأه! وقد سمع قـول الله عزوجل: "وأنه أهلك عادًا الأولى" النجم: آية ٥٣، فهل قال هذا إلا وثم عـاد أخـرى؟ وكان يقال لثمود: عاد الصغرى"[٢].

وذكر ابن قتيبة في مصنفه: "إن من الغلط قول الشاعر: كأحمر عاد، وإنما هو كأحمر ثمود، وهو عاقر الناقة"[٣].

ويقول ثعلب (٢٩١هـ) في شرحه لديوان زهير: "وإنمـا أراد أحمـر ثمـود، فقال: أحمر عاد، وهذا غلط"[٤].

ومحصل اعتراض الأصمعي وثعلب وابن قتيبة أن في قول زهيـر "كـأحمر عاد" فيه نسبة "قدار" عاقر ناقة ثمود إلى عاد، وهو مـا لا يـصادق عليـه العـارفون بالأنساب والتاريخ، لأن ثمود بقية من عاد، والآية المذكورة دليل على ذلك، وهـو رأي المبرد (٢٨٥هـ)، حيث يرى أنه "لا غلط؛ لأن ثمود يقال لها عاد الآخرة، ويقال لقـوم هود عاد الأولى، والدليل على هذا، قوله تعالى: ﴿وأَنَّهُ أهلَكَ عَادًا الأولَى﴾"[٥]، ويـرى صعودا والأعلم الشنتمري أنه "لا غلط، لكنه جعل عادًا مكان ثمود اتساعًا ومجـازًا، إذ قد عرف المعنيُّ، مع تقارب ما بين عاد وثمود في الزمن والأخلاق"[٦].

---

(١) ديوان زهير، ص٢٨، أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، ٢٩٠/١، البغدادي: خزانة الأدب، ١٣/٣، ابـن قتيبـة: الشعر والشعراء، ١٥٨/١.

(٢) ابن رشيق القيرواني: العمدة، ٢٤٦/٢.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١٥٨/١.

(٤) شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ص٢٨.

(٥) البغدادي: خزانة الأدب، ١٣/٣.

(٦) البغدادي: خزانة الأدب، ١٣/٣.

ومثل قول زهير هذا، قول أبي خراش الهذلي[1]، وتروى لأبي جندب الهذلي[2]:

فَمَنْ كَانَ يَرْجُو الصُّلْحَ مِنِّي فَإِنَّهُ كَأَحْمَرِ عَادٍ، أَوْ كُلَيبِ بنِ وَائِلِ

وكان الأصمعي يفضلها، وأوردها السكري (٢٧٥هـ) في شرح أشعار الهذليين، ولم يشر إلى غلط في المعنى.

وفي قول النابغة[3]:

وَكُلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ وَنَسْجُ سُلَيمٍ كُلَّ قَضَّاءَ ذَائِلِ

يقول أبو بكر الأنباري (٣٢٨هـ): "أراد: ونسج سليمان، وسليمان لم ينسج الدروع، وإنما نسجها داود"[4].

فكأنه أراد أن هذا على وجه الغلط،ولا غلط في قول النابغة، فداود -عليه السلام- اشتهر في أنه أول من عمل الدروع، وخصه الله بتسخير الحديد له من بين أنبياء الله -سبحانه وتعالى- أما نسبتها إلى ابنه سليمان -عليه السلام- فلم يرد في كتاب الله اختصاصه بصنعتها، وربما يكون عملها بعد أبيه داود -عليه السلام- فنسبت إليه، وخاصة أنه عرف بكثرة الغزو، وربما يكون ذلك من أخبار اليهود الذين بالغوا في أحاديثهم عن سليمان -عليه السلام- مما كان وما لم يكن، والله أعلم.

ولعل ذلك من باب تغيير اللفظ، وهو قول ابن رشيق: "وقد يغيرون اللفظ"[5] واستشهد بقول النابغة السابق، فنسج سليم أراد نسج سليمان، وأراد بسليمان داود؛ لأنه أول من عمل الدروع، فجعله سليمان ثم غير الاسم، فقال: سليم، وهو عند ابن رشيق أسهل من "سلاَّم" حيث يقول: وهو أسهل من قول الآخر، وهو الأسود بن يعفر[6]:

وَدَعَا بِمُحْكَمَةٍ أَمِينٍ سَكُّهَا مِنْ نَسْجِ دَاودٍ أَبِي سَلاَّمِ

---

(1) الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠م) ٢٤٥/٢١.

(2) السكري: شرح أشعار الهذليين، ٣٤٦/١.

(3) ديوان النابغة الذبياني، ص١٤٦.

(4) أبو بكر الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال، ص٢٧٠.

(5) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ٢٦٨/٢.

(6) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ٢٦٨/٢، اللسان: مادة (سلم).

إلا أنه نسب نسج الدروع هنا إلى داود وهو الأصل، والتغيير في لفظ سلاّم، وأراد به سليمان.

وفي قول الأعشى[١]:

فَإِنِّي وَثَوْبَي رَاهِبِ اللُّجِّ وَالَّتِي ... بَنَاهَا قُصَيٌّ وَالمُضَاضُ بنُ جُرْهُمِ

يقول أبو بكر الأنباري في هذا البيت: "إن هذا على وجه الغلط؛ لأن قصي لم يبن الكعبة"[٢].

وهذا هو ظاهر معنى البيت، ولعل الذي عناه الأعشى هو إقامة أمر الكعبة الذي كان إلى جرهم ثم صار إلى قصي، وليس المقصود البناء الحقيقي.

ويدخل ضمن ذلك، قول تميم بن أُبيٍّ بن مقبل[٣]:

أَمَّا الأَدَاةُ فَفِينَا ضُمَّرٌ صَنَعٌ ... جُودٌ حَوَاجِرُ بِالأَلْبَادِ وَاللُّجُمِ[٤]

وَنَسْجُ دَاودَ مِنْ بِيضٍ مُضَاعَفَةٍ ... مِنْ عَهْدِ عَادٍ، وَبَعْدَ الحَيِّ مِنْ إِرَمِ

يقول ابن رشيق معلقًا على هذه الأبيات:

"فكيف يكون نسج داود من عهد عاد؟ اللهم إلا أن يريد: فينا ضمر صنع من عهد عاد، فذلك على سبيل المبالغة، مع أن الإحالة لم تفارقه، وكم بين قيس عيلان وبين عاد فضلاً عن بني العجلان؟!"[٥].

وبنو العجلان رهط تميم بن أُبيٍّ بن مقبل، وهو من قبائل قيس عيلان.

---

(١) ديوان الأعشى، ص١٧٥.

(٢) أبو بكر الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٢٧٠.

(٣) ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزّة حسن (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م) ص٣٩٨، ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ٢/٢٦٧.

ومن المعلوم أن الشاعر تميم بن أُبي بن مقبل من بني العجلان من الشعراء المخضرمين، عمر كثيرًا في الجاهلية وبعدها، وقد اختلف في سنة وفاته، فقيل سنة ٤٢هـ، وقيل سنة ٣٧هـ. انظر: صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، عناية: جاكلين سُوبله وعلي عماره، ط٢، إشراف: (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت على مطابع دار صادر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ١٠/٤١٦. إلا إنه من المرجح أن هذه الأبيات ضمن قصيدة قالها الشاعر في الجاهلية، أوحى بذلك جو القصيدة وما تضمنه من وصف دقيق للحرب وآلتها.

(٤) الأداة: أداة الحرب، الضُمَّر: الخيل الضامرة، الألباد: جمع اللِّبْد، وهو ما يوضع تحت السرج من بُسْط. اللسان: مادة (لبد).

اللُّجُم: جمع اللِّجام، وهو حبل أو عصا تُدخل في فم الدابة وتلزق إلى قفاه. اللسان: مادة (لجم).

(٥) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ٢/٢٦٧.

ومن هنا نلحظ أن موقف القدماء من الشعر الذي حوى إشارات تاريخية، تركز بشكل كبير على:

- رفض المسلك الذي سلكه ابن إسحاق في السيرة.
- اجتهاد علماء الشعر ونقاده في تصحيح بعض الأشعار، ومعرفة وجه الغلط فيها -إن وجد-.
- النظر في بعض الأشعار التي حوت إشارات تاريخية عن أنبياء الله ورسله وبعض الأمم الغابرة، وسبيل قبولها هو قبول علماء الشعر بها واجتهادهم في معرفتها، وبذلك فإن هذا النوع من الشعر يسهل معرفته وتمييزه على الرواة العلماء المدققين.

أما في العصر الحديث، فقد تركزت شكوك الدارسين حول الشعر الذي حوى إشارات تاريخية، لسببين إما إنه يحمل أفكارًا إسلامية وبذلك فهو من وضع المسلمين، أو أن هذا الشعر عبر عن ثقافة لا يعرفها الشاعر، أو لا يعرف معظمها. ومن هؤلاء "نولدكه" عام ١٨٦٤م، حيث أشار إلى الشكوك التي يثيرها الشعر الجاهلي، ومنها أن هناك أفكارًا إسلامية وضعت في قصائد العصر الجاهلي(١).

ويشير في موضع آخر إلى ورود اسم النبي سليمان -عليه السلام- في بيتين يراهما مقحمين على معلقة النابغة إذ إن فيهما إشارة لا ترضي ممدوح النابغة، حيث يقول: ذلك أننا حتى لو سلمنا بأن النابغة عرف شيئًا عن الملك سليمان بوصفه مؤسس مدينة تدمر، فإنه مما يخالف عادة الشعراء العرب تمامًا أن يخاطبوا ملكًا بهذا القول:

وَلاَ أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَلاَ أُحَاشِي مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ

إِلاَّ سُلَيمانَ إِذْ قَالَ الإِلَهُ لَهُ قُمْ فِي البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ

وَخَيِّسِ الجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

(١) عبدالرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ط١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م) ص٢٧.

فمثل هذا الاستثناء لا يمكن أن يرضي عنه أمير مسلم فضلاً عن أمير جاهلي، ولو حذفنا البيتين لعاد الارتباط في سياق الكلام سليما(١).

ويبدو من رأي "نولدكه" أنه يشكك في معرفة النابغة الذبياني بوصفه شاعرًا قديمًا بالملك سليمان –عليه السلام– بوصفه مؤسسًا لمدينة تدمر، ويرى أن هذين البيتين مقحمان على القصيدة.

ويرى "نولدكه" أن كثرة التصورات الإسلامية والقصص الإسلامي التي تحشى بها القصائد القديمة، وكثرة ورود الأسماء القرآنية التي هي في رأيه أسطورية في الشعر القديم، تؤكد الشك في صحة هذا الشعر. إلا أننا في الوقت نفسه نجد لِـ"نولدكه" رأيًا آخر معتدلاً، يؤكد فيه صحة الأبيات الشعرية التي وردت فيها أسماء قرآنية للأمم البائدة كعاد وغيرها، حيث يرى أن هناك أسماء مثل عاد وغيرها من الأمم البائدة توجد في أشعار قديمة وهي صحيحة حقًا.

أما "مارجليوث"، وهو أشهر من تناول هذا الموضوع في بحثه أصول الشعر العربي ١٩٢٥م، فيرى أن الشعر المنسوب إلى الجاهليين مصنوع وغير صحيح النسبة إليهم، صنعه آخرون في العصر الإسلامي... وكان من دلائله على ذلك كثرة الإشارات الواردة في الشعر الجاهلي إلى قصص ديني جاء في القرآن الكريم، يقول في أحد مواضع بحثه: "وعندما يريد هؤلاء الشعراء تصوير جبروت القوة الإلهية، فإنهم يأخذون بانتظام الصيغ القرآنية لإرم وعاد وثمود، ويخلط عدد منهم بين الاثنين الأخيرين، وهذا الخلط ليس له أي احتمال سوى أن الكلمتين جاءتا متجاورتين في القرآن، ولذلك فالحقيقة أن قصة هؤلاء الأقوام الثلاثة كانت مدركة لديهم، ومن المحتمل أن القرآن كان هو المصدر الذي اعتمد عليه الشعراء(٢).

ولعل "مارجليوث" يقصد بهذا الخلط قول أبي خراش الهذلي والمنسوب أيضًا لأبي جندب الهذلي:

فَمَنْ كَانَ يَرْجُو الصُّلْحَ مِنِّي فَإِنَّهُ كَأَحْمَرِ عَادٍ أَوْ كُلَيْبِ بْنِ وَائِلِ

(١) انظر: بلاشير: تاريخ الأدب العربي، تعريب: إبراهيم كيلاني، د.ط (بيروت: دار الفكر، د.ت) ص١٨٦.

(٢) د.س. مارجليوث: أصول الشعر العربي، ترجمة: يحيى الجبوري، د.ط (بغداد: مؤسسة الرسالة، د.ت) ص٧٥. وانظر: عبدالرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص١١٦.

وقول زهير أيضًا:

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

وقد سبق أن ذكرنا أنه لا خلط في هذا، وأوردنا قول المبرد والأعلم الشنتمري[١]، وكثرة هذه الإشارات إلى القصص الديني في الشعر الجاهلي تصل بـ"مارجليوث" إلى نتيجة هي "إن الديانة الوحيدة التي يصح أن يعتنقها هؤلاء الشعراء الجاهليون هي الإسلام"[٢]. ويرى أن هؤلاء الشعراء لم يكونوا موحدين متمسكين بالوحدانية فحسب، بل إنهم يكشفون عن معرفتهم بأمور يذكر القرآن أنه لم يكن يعرفها العرب قبل نزول الوحي، ففي سورة رقم ١١ آية ٥١، يذكر أنه لا محمد ولا قومه سمعوا من قبل بقصة نوح، ثم يشير إلى أن النابغة كان يعرف هذه القصة بتفصيلاتها، ويعقب على ذلك بقوله: "ويبدو أن القرآن هو المصدر الوحيد عن هذا الأمر".

ويورد بيت النابغة:

فَأَلْفَيْتُ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لاَ يَخُونُ

ويقول: "وهنا إشارة واضحة إلى الصفة "أمين" وهي في القرآن من صفات نوح"[٣]. والملاحظ على رأي "مارجليوث" هذا، أنه تضمن أفكارًا لا تستند على منطق عقلي سليم، حيث شكك في الشعر الجاهلي بمجرد تضمنه إشارات إلى قصص ديني ورد في القرآن الكريم، وكأن "مارجليوث" لم يعلم أن اليهود والنصارى كانوا يخالطون عرب الجاهلية وكانوا يستمعون إليهم ويروون عن كتبهم الدينية والتاريخية العديد من القصص المشار إليها، والشواهد على ذلك كثيرة. ثم إن ورود شيء من هذه الإشارات في الشعر الجاهلي مصدره اليهود والنصارى وليس القرآن الكريم الذي هو في اعتقاد "مارجليوث" أسبق من هذا الشعر المنسوب إلى الجاهليين.

ثم إن "مارجليوث" استشهد بشاهد من القرآن ذكر فيه أن العرب كانوا على جهل بأخبار الغيب السالفة، وهو قوله تعالى مخاطبًا نبيه بعد الحديث عن قصة نوح في سورة هود: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ[٤].

---

(١) انظر القول السابق.

(٢) د.س. مارجليوث: أصول الشعر العربي، ص٧٣.

(٣) د.س. مارجليوث: أصول الشعر العربي، ص٧٣.

(٤) هود: آية ٤٩.

ورد في تفسير ابن كثير لهذه الآية: «أن الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه – صلى الله عليه وسلم – هذه القصة "قصة نوح" وأشباهها من أخبار الغيوب السالفة نعلمك بها وحيًا منا إليك، ولم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك»[١].

والواضح جدًا أن "مارجليوث" فهم الشاهد على ظاهره، وإنما المراد بذلك وكما هو واضح من تفسير ابن كثير أن قصة نوح وغيرها من القصص السالفة كانت معلومة لدى النبي – صلى الله عليه وسلم – وقومه، وإنما الجهل كان بتفاصيلها ومطابقتها لما كان عليه الأمر الصحيح الخالي من الزيادة والتحريف، يقول المسلوت: "أما القصص الديني، فإن العرب حقيقة كانت معرفتهم بالتفاصيل والدقائق التي تتصل بها قليلة، فلا يكادون يدركون إلا أمورًا عامة"[٢]. أضف إلى ذلك ورود آيات عدة في القرآن الكريم تتناول قضية السير في الأرض، وتدعو العرب إلى الاعتبار بأحوال القرون الماضية والأمم الخالية مما يدل على أن العرب كان لديهم علم بأخبار تلك الأمم بغض النظر عن تفاصيل تلك الأخبار، كقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٣] ، بل إن الله سبحانه وتعالى ذكر أن من العرب من سكن في مساكن الأمم الماضية، ورأى ما فعل الله بهم جزاء عصيانهم، فقال تعالى: (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) [٤]، أما إذا عدنا إلى بيت النابغة الذي ذكره "مارجليوث"، فإننا نجد أن الجاحظ نص على أنه من منحول النابغة، وذكر ابن سلام الجمحي أن أهل العلم أجمعوا على أن النابغة لم يقل هذا، مما يدل على تنبه العلماء لذلك، وحرصهم على إقرار صحة تلك الشواهد الشعرية، وقد أكد "رينان" هذا الرأي، بقوله: "إن المعلقات وديوان الحماسة وكتاب الأغاني وديوان الهذليين قد قبلها العلماء وسلموا أنها سابقة

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٤٠٨/١٢.

(٢) عبدالحميد المسلوت: نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، د.ط (القاهرة: دار القلم، د.ت) ص٨٩.

(٣) يوسف: آية ١٠٩.

(٤) إبراهيم: آية ٤٥.

في معناها ومبناها لمبعث محمد، أي أن العلماء أقروا صحتها شكلاً وموضوعًا، وأقروا انحدارها إلينا من العهد المتقدم على الإسلام"[١].

وحول رأي "مارجليوث" في العبارات القرآنية الواردة في الشعر الجاهلي، يرى "ليال" أنه ليس من الممكن أن يذكر كل المواضع التي ذكرها "مارجليوث" وقال إنها إسلامية، فللإنسان أن يدققها ويفندها[٢]. إذ إن من الملاحظ على آراء "مارجليوث" أنه يحاول إثبات أن المسلمين هم من وضع هذا الشعر على لسان الجاهليين، ويتكرر هذا في مواضع عدة من بحثه، فتارة يقول: "لقد كانوا مسلمين في كل شيء، إلا في الاسم"[٣]، وتارة يقول: "إن الدين الوحيد الذي يمكن أن يؤمن به هؤلاء الشعراء الجاهليون هو الإسلام فقط"[٤]، وفي موضع آخر، "ولكن آراء الشعراء الجاهليين في الموضوعات الدينية تظهر لنا أنها كانت مشابهة أو حتى مطابقة مع آراء أولئك الذين تعلموا القرآن"[٥].

ونحن نقول أيضًا، إنه في الوقت الذي توجد فيه قصائد في جملتها صحيحة أصيلة، فهناك أيضًا قصائد ناضجة بالسمات الإسلامية متأثرة في نظمها بالقرآن الكريم غير مسلم بصحتها ولا يتردد أحد في القول بنحلها واختلاقها وخصوصًا في ظل وجود أشخاص قاموا بحفظ الشعر وروايته لا في الجاهلية فقط بل في العقود الأولى من الإسلام.

ولا تختلف آراء "بلاشير" عن سابقه "مارجليوث" فيما ورد في الشعر الجاهلي من إشارات تاريخية، فيرى أن القصائد المنسوبة للأمم البائدة كا لثموديين والعمالقة وغيرها، مما امتلأت به كتب الأخبار، تضم بجملتها إلى قائمة الشعر المدسوس، فيقول: "إننا نفرد دون تردد كمية هائلة من الشعر المدسوس في أساطير وردت في سيرة ابن هشام، وكتاب التيجان لعبيد بن شرية[٦] وكتاب الأغاني، إن هذا الإفراد يتناول قطعًا منسوبة إلى العمالقة والثموديين[٧].

---

(١) لطفي جمعة: الشهاب الراصد، ط١، د.ت، ص٣٠٢.

(٢) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص٢١٣.

(٣) د. س. مارجليوث: أصول الشعر العربي، ص٧١.

(٤) د. س. مارجليوث: أصول الشعر العربي، ص٧٣.

(٥) د. س. مارجليوث: أصول الشعر العربي، ص٧٧.

(٦) ذكر بلاشير أن التيجان لعبيد بن شرية، والصحيح أن التيجان لوهب بن منبه وملحق به أخبار عبيد ابن شرية.

(٧) بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ص١٨٤.

والحقيقة أن "بلاشير" لم يأت بجديد في هذا الموضوع، إذ لا يتردد أحد في رفض الأشعار الموجودة في كتب الأخبار والسيرة المنسوبة إلى الأمم البائدة وغيرهم، ولا ينكر أحد أيضًا موقف ابن سلام الرائد من هذا الشعر، يقول "جيمز مونرو" إنه لمن الصعب أن نحجم عن إظهار الإعجاب بدقة الناقد محمد بن سلام الجمحي الموضوعية حينما وسم تلك القصائد القديمة المنسوبة إلى أقوام عاد وثمود بأنها منحولة"(١). هذا بالنسبة إلى الأشعار المنسوبة إلى الأمم البائدة المبثوثة في كتب الأخبار والسير وبعض كتب التاريخ، إلا أنه ينبغي ألا يعمم هذا الحكم على بعض المقطوعات الشعرية المثبتة في كتب التاريخ والتي يرجح نسبتها إلى الجاهليين، يقول "رينان": "يجب علينا أن نمنح درجة أعلى من التصديق والصحة للمقطوعات الشعرية المثبتة في كتب التاريخ والشعر الجاهلي، فإن هذا هو في الحق أقدم أنواع الشعر العربي"(٢) ويوافق "بلاشير" في رفض الأشعار المنسوبة إلى الأمم البائدة من المحدثين العرب.. مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تاريخ آداب العرب" عام ١٩١١م، إذ يرى أن هذا النوع من الشعر منحول، وإن من أسباب نحله ووضعه القصاص وأهل الأخبار، رغبة في تأصيل أساطيرهم وإضفاء ملامح الصدق على ما يخترعون، حيث يقول: "فلما كثر القصاصون وأهل الأخبار اضطروا من أجل ذلك إلى أن يضعوا الشعر لما يلفقونه من الأساطير حتى يلائموا بين رقعتي الكلام، وليحدروا تلك الأساطير من أقرب الطرق إلى أفئدة العوام، فوضعوا من الشعر على آدم فمن دونه من الأنبياء وأولادهم وأقوامهم"(٣).

ويعلل الرافعي ذلك بأن الناس كانوا في الصدر الأول يرون أن ما لا شاهد له من كلام العرب لا ثقة به كائنًا ما كان علمًا أو خبرًا. وبالتالي فإن وجود القصاص وأهل الأخبار مع أساطير ملفقة إضافة إلى العوام من الناس، هي بيئة مناسبة للشعر المنحول في نظر الرافعي الذي كان له من بين المحدثين العرب فضل السبق في الحديث عن تأثير القصص في نحل الشعر وإضافته إلى القدماء كما شهد له بذلك طه حسين الذي كانت له آراؤه في هذا الشعر أثناء تناوله لموضوع الانتحال في الشعر الجاهلي في كتابه المعروف "في الشعر الجاهلي" ثم "في الأدب الجاهلي" عام ١٩٢٧م، حيث يرى طه

(١) جيمز مونرو: النظم الشفوي، ترجمة: فضل العماري، د.ت، ص١٨.

(٢) لطفي جمعة: الشهاب الراصد، ص٣٠٢.

(٣) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ٣٦٠/١.

حسين أن ورود مثل هذه الإشارات التاريخية في الشعر الجاهلي هي أصدق شاهد على أن هذا الشعر منحول في العصر الإسلامي، ساعد في ذلك المفسرون أثناء تفسير ما يجدونه في القرآن الكريم من أخبار الأمم البائدة مثل عاد وثمود، وذلك بإضافة الأشعار ونسبتها إليهم، وقد أرجع طه حسين فضل السبق إلى ابن سلام من القدماء في إثبات نحل هذا الشعر الذي وضعه ابن إسحاق ومن إليه من أصحاب القصص، يقول: "نحو آخر من تأثير الدين في نحل الشعر، وهو الذي يلجأ إليه القصاص لتفسير ما يجدونه مكتوبًا في القرآن من أخبار الأمم القديمة البائدة كعاد وثمود، ومن إليهم فالرواة يضيفون إليهم شعرًا كثيرًا.."[1].

ويوافق طه حسين في هذا الرأي ناصر الدين الأسد، حيث يقول: "وأكثر شعر هذا الضرب – الموضوع – ما وضعه القصاص ليحلوا به قصصهم، أو يكسبوه في نفوس السامعين والقارئين شيئًا من الثقة، وما وضعه القصاص على لسان آدم وغيره من الأنبياء، أو على لسان بعض العرب البائدة"[2].

وإذا كان هناك من القصاص من لجأ إلى وضع الشعر ليفسر القصة التي يرويها، فإنها لا تعدو أن تكون مرويات قليلة مبثوثة في كتب الأخبار والتفسير لا يعول عليها في شيء في ظل فطنة العلماء والنقاد، يؤيد هذا الرأي علي الجندي فيقول: "لا شك أن فيما ذكره طه حسين من هذه المسائل شيئًا من الشعر والنصوص الأدبية قيل بعد الإسلام ونسب إلى أدباء جاهليين، وقد فطن إلى ذلك العلماء والنقاد القدماء ونصوا على نحل بعض الآثار الأدبية التي تتصل بهذه المسائل، وقد رأينا فيما اقتبسناه من ابن سلام والرافعي ما يثبت ذلك"[3]. ويضيف طه حسين إلى ذلك كل الأشعار والأخبار التي يظهر بينها وبين القرآن تشابه قوي أو ضعيف[4].

وقد أخذ على طه حسين هذا الضرب من التعسف، يقول الخضر حسين: "كل شعر أو خبر أو حديث يضاف إلى الجاهليين، ويكون بينه وبين آية من القرآن شبه

([1]) انظر: طه حسين: في الأدب الجاهلي، ط١٧ (القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص١٣٨.

([2]) ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، ص٤٧٠.

([3]) علي الجندي: في تاريخ الأدب الجاهلي، د.ط (القاهرة: دار غريب، د.ت) ص١٧٥.

([4]) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٣٨.

قوي أو ضعيف فهو مصنوع! أليس من الجائز أن ينطق العرب بحكمة فيأتي القرآن بهذه الحكمة على وجه أبلغ وأرقى"[١].

ونحن نجد أيضًا أن هناك بعض الإشارات التاريخية إلى أنبياء الله ورسله وقصصهم مع أقوامهم يظهر فيها التشابه مع القرآن الكريم، فهل من المقبول أن ترفض كل هذه الأشعار لمجرد التشابه بينها وبين القرآن! كما أنه من المعلوم أيضًا أن الشعر إذا صنع في العصر الإسلامي وخصوصًا إذا صيغ بألفاظ إسلامية ونفس قرآني، سيظهر نحله ووضعه، يؤيد هذا الصادق مكي الذي تناول المنحول من الشعر الديني في دراسته "ملامح الفكر الديني"، يقول: "من جملة ما لحقه النحل من الشعر الجاهلي ذلك الشعر القصصي الديني المروي على ألسنة بعض شعراء الجاهلية، والذي يتناول موضوعات دينية، فيعرضها بألفاظ إسلامية، ونفس قرآني، ويدعيها سابقة للإسلام متهمًا بأن يكون الإسلام هو الذي اقتبسها وليس العكس"[٢]، وهو بهذا يشير إلى رأي "كليمان هوار" محقق كتاب "البدء والتاريخ" لمطهر بن طاهر المقدسي (بعد ٣٥٥هـ) وهو كتاب حوى طائفة كبيرة من الشعر الديني المنسوب إلى أمية الذي لا يمكن أن تخطيء النظرة الأولى في أنه من الشعر المتهم سواء في وزنه أو لغته أو روايته، وربما يعود ذلك إلى أن صاحب الكتاب لم يكن من طبقة الرواة وأصحاب العلم باللغة، ولهذا لم يكن ليهتم بنقد ما أورده من شعر، أو تمحيصه قبل إسناده إلى هذا الشاعر أو ذاك[٣]. ولعل "هوار" اتخذ من هذه الأشعار المتهمة مدخلاً للنيل من القرآن الكريم، حيث زعم "أنه اكتشف مصدرًا من مصادر القرآن، وهو شعر أمية، ثم يقارن بين شعر أمية وما فيه من أقاصيص دينية وبين نصوص القرآن، وينتهي إلى أن النبي قد استعان بشعر أمية في نظم القرآن"[٤]. و"هوار" هنا يرى صحة شعر أمية بمجمله الموضوع منه والموثق، مع العلم أن شعر القصص الديني من ديوان أمية جاء فيه وضع لا يخفى على الدارسين، ويصل هذا الرأي بـ"هوار" إلى زعم استعانة النبي الكريم بشعر أمية.

---

(١) محمد الخضر حسين: نقض كتاب "في الشعر الجاهلي" د.ط (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت) ص١٨٨.

(٢) الصادق مكي: ملامح الفكر الديني، ط١ (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩١م) ص١٦١.

(٣) انظر: عبدالحفيظ السطلي: ديوان أمية، ص١١٢.

(٤) انظر: طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٤٢، عبدالحفيظ السطلي: ديوان أمية، ص١٢٨، محمد الخضر حسين: نقض كتاب في الشعر الجاهلي، ص٢١٤.

ويخالف طه حسين رأي "هوار" في صحة شعر أمية، ليثبت صحة رأيه في انتحال هذا النوع من الشعر، فيقول: "إن القصص القرآني كان معروفًا بعضه عند أهل الكتاب، وبعضه عند العرب أنفسهم، وكان من اليسير أن يعرفه النبي كما كان من اليسير أن يعرفه غير النبي من المتصلين بأهل الكتاب.. كما كان النبي وأمية متعاصرين، فلم يكون النبي هو الذي أخذ عن أمية، ولا يكون هو الذي أخذ عن النبي؟"[1] إلا أن طه حسين "وهوار" يتفقان في أن شعر أمية تعرض للضياع وإن اختلفت حجة كل منهما، فطه حسين يرى أن نهي النبي –صلى الله عليه وسلم– عن رواية شعر أمية الذي هجي فيه النبي وأصحابه سبب كاف لأن يضيع شعره[2].

ويرى "هوار" أن صحة هذا الشعر واستعانة النبي به في نظم القرآن، قد حملتا المسلمين على محاربة شعر أمية بن أبي الصلت ومحوه ليستأثر القرآن بالجدة[3].

وقد رد على رأي طه حسين محمد الخضر حسين بقوله: "إن في الحديث الصحيح أن النبي استنشد رجلاً شعر أمية فظل ينشده مائة بيت، وقال إنه لو صح أن النبي نهى عن شعره لكان النهي مقصورًا على قصيدة أمية التي رثى بها قتلى قريش في وقعة بدر، على أن هذه القصيدة واردة في بعض كتب السير والمغازي، وقد رواها ابن هشام في نحو ثلاثين بيتًا..."[4].

ويوافقه في هذا الرأي مصطفى صادق الرافعي، الذي يرى "أن وقوع النهي لا يقتضي محو المنهي عنه ولا تركه عند من أراده، وقد نهى الله عن أشياء كثيرة مازالت تؤتى"[5].

وفي الحقيقة، لا تخفى نيات كثير من المستشرقين كـ"هوار" وغيره فيما يخص الإسلام، وإننا لنتساءل ما الفائدة التي سيجنيها العلماء المسلمون من محو شعر

---

(1) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٤٥.

(2) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٤٣.

(3) عبدالحفيظ السطلي: ديوان أمية، ص١٢٨.

(4) محمد الخضر حسين: نقض كتاب في الشعر الجاهلي، ص٢٢٠، وللخضري رأي موافق لهذا الرأي، انظر: محمد الخضري: محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب "في الشعر الجاهلي" مجلة القضاء الشرعي، القاهرة، د.ت، ص٥٠.

(5) مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، د.ط (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت) ص٣٩.

أمية، وما الذي جاء به شعر أمية وغيره ليكون منافسًا للقرآن الكريم فيمحى ليستأثر القرآن بالجدة؟!.

ولن تكون هناك مشابهة بين شعر أمية وغيره والقرآن المعجز بنظمه، وكيف يكون ذلك والقرآن الكريم تحدى الله به قريشاً أن يأتوا بسورة من مثله، ثم نفى الله سبحانه وتعالى عن نبيه في أكثر من موضع في القرآن قول الشعر أو معرفته، ثم لنا أن نتساءل عن موقف أمية وغيره من الشعراء الجاهليين، فهل سيسكت هؤلاء وهم يرون أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يأخذ من شعرهم ويقلده؟ أم هل سيغفل هذا الأمر النضر بن الحارث أو الوليد بن المغيرة المخزومي[1] وهما من عرفا بالعداء للنبي –صلى الله عليه وسلم– وجداله في كل ما يخص دعوته؟ ويخالف عبدالحفيظ السطلي رأي "هوار"، ويرى أنه لا يمكن التسليم بهذا الرأي إلا بعد إثبات أن ذلك الشعر الذي يلتقي مع القرآن صحيح النسبة إلى أمية، وأنه أسبق منه تاريخيًا[2].

والحقيقة أننا نجد في بعض أشعار أمية محاولة لتقليد القرآن الكريم، ولا يمنع أن تكون هذه الأشعار لأمية، فأمية من خلال قراءاته للكتب السماوية ولقائه مع رجال الدين، عرف سمات وصفات النبي المنتظر، ومن ثم تقمص هذه الصفات، ولكنه حين علم بظهور النبي الكريم حسده ورفض أن يتبعه –كما سبق أن ذكرنا– ويتضح الأمر بجلاء من خلال التعمق في هذه الأشعار التي جاءت وكأنه ينافس بها النبي فيما نزل عليه من الكتاب الكريم، ويحاول جاهدًا من خلالها أن يجد له أتباعًا يؤمنون به. وهناك العديد من الروايات التي تشير إلى أن أمية كان يهيء نفسه للنبوة التي حاول أن يروجها لنفسه، منها زيارة الطائرين له في أثناء نومه ويبدو أن أمية أراد من خلال هذه القصة التشبه بالرسول، وقصة شق قلبه حين كان في رعاية حليمة السعدية، إضافة إلى أمنيته بأن يكون راعيًا[3]، التي صرح بها في شعره، ليكون حاله كحال الرسول، وذلك بقوله[4]:

---

(1) ورد في تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) إلى قوله تعالى: (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)، سورة المدثر ١٠–٣٠ ،قول الوليد بن المغيرة لأبي جهل بن هشام: "والله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله – محمد – شيئًا من هذا..."، ٢٩/٤٠٠.

(2) عبدالحفيظ السطلي: ديوان أمية، ص٢٩٩.

(3) انظر في أخبار أمية: ابن كثير: البداية والنهاية، ٦٢١/٢، وانظر هذا الرأي في: سناء أحمد سليم: توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأمية بن أبي الصلت الثقفي، رسالة ماجستير، إشراف: د.إحسان الديك (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ص٣٨، ص١٩٨.

(4) عبدالحفيظ السطلي: ديوان أمية، ص٤٥١.

لَيْتَنِـــي كُنْـــتُ قَبْـــلَ مَـــا قَـــدْ بَـــدَا لِـــي   فِـــي قِـــلاَلِ الجِبَـــالِ أَرْعَـــى الوعُـــولاَ[١]

وقد كان لبعض المستشرقين أيضًا معارضة واضحة لرأي "هوار"، فذهبوا إلى أن أمية لم يأت بجديد يصلح أن يكون مادة للقرآن، فحقائق هذه الأخبار كانـــت شـــائعة قبيل عصر النبوة عند اليهود والنصارى فعرفها رسول الله وأمية معًا، فالمـــصدر لكـــل منهما هو الثقافة الشائعة عند أهل الكتاب[٢].

يقول الكاتب "هـــ. هـــ. بروى" في دائرة المعـــارف الإســـلامية: "ومحمـــد[٣] وأمية وغيرهما من الرجال المتدينين كزيد بن عمرو وورقة ومسلمة اقتبسوا جميعًا مـــن مصادر واحدة، سواء أكانت مدونة كما يرى **Schulthess**، أم مروية كما يذهب إليه **N□ldeke**"[٤]. وقد أنكر "محمد الخضر حسين" أن يكون اتصال النبي بأهـــل الكتـــاب مصدرًا لثقافته –صلى الله عليه وسلم– وتناول إبطال هذا الرأي من طرفين من حيـــث حال النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل البعثة وبعد البعثة، أما قبل البعثة فيـــرى أنـــه لا يستقيم لأحد ادعاء أن الرسول الأمي تعلم القراءة ودرس التوراة والإنجيـــل –اللـــذين لا يقرؤهما إلا من درس العبرية– أما شانه بعد البعثة، فيرى الخضر أنه لا يلائـــم شـــأن الرسول أن يجادل اليهود والنصارى ثم يطلب لديهم علم التوراة والإنجيل، ولا يلائم أن يأخذ النبي ممن أسلم من أهلها، ثم يجيء بها القرآن على أنها وحي يوحى.."[٥].

وهذه فرية زعم أصحابها نقل الأخبار والأنباء التي وردت في القرآن الكـــريم وأخبر بها النبي –صلى الله عليه وسلم– من أهل الكتـــاب مـــن طـــرفين، وأولهـــا: أن التوراة والإنجيل لم يتحدثا عن بعض الأمور التي ذكرها القـــرآن الكـــريم مـــن أنبـــاء

---

(١) القِلال: مفردها "قُلَّة" وهي أعلى الجبل، الوعول: مفردها وعل، وهو تيس الجبل، يقول محقق الديوان: "والوعول ليـــست من النَّعَم فترعى، ولكنه يريد: ليتني أويت إلى الجبال، وانفردت هناك تعبدًا وزهدًا فتألفني الوعول كأنني أرعاها كما يرعى الناس النعم". الديوان، ص٤٥١.

(٢) عبدالحفيظ السطلي: ديوان أمية، ص٢٩٩، وانظر: البيومي: موقف النقد الأدبي من الشعر الجـــاهلي، د.ط (مطبوعـــات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت) ص١٧٦.

(٣) الملاحظ على هذا الرأي، بأن صاحبه عد ما أنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– من قبيل الشعر ولا يختلف عـــن شعر أمية، والله سبحانه وتعالى نزه نبيه عن قول الشعر فقال: چئا ئـ ئـ ئو ئو ئوٌچ (يس: آية ٦٩).

(٤) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبدالحميـــد يـــونس (بيروت: دار المعرفة، د.ت) ٦٦٢/٢.

(٥) انظر: محمد الخضر حسين: نقض كتاب "في الشعر الجاهلي"، ص٢١٨.

التاريخ، وثانيهما: إن موافقة القرآن الكريم في بعض أنبائه مع أخبار التوراة والإنجيل دليل على صدق دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم.

أما الشعراء الجاهليون فلا ينكر اتصالهم بأهل الكتاب فقد كان منهم من لبس المسوح وجالس الرهبان وقرأ التوراة والإنجيل، وذكر ذلك في كتب التاريخ، إضافة إلى ذلك تأثرهم بأحاديث شفوية وأساطير شعبية كانت شائعة في ذلك العصر، ولكن إذا كانت بعض الأخبار لم ترد عند أهل الكتاب، أو أنها وردت وأنكرها أهل الكتاب فيما أنكروا وأخفوا وحرفوا، فمن أين عرفها الشعراء الجاهليون؟ إنه لمن المؤكد أن يكون ذلك من جملة ثقافة العرب التي كانوا يتوارثون أخبارها، وأصبحت تعبيرًا عن الضمير الجمعي في ذلك الزمان.

وإذا عدنا إلى موضوع القصص وأثره في نحل الشعر، فإننا نجد أن لطه حسين موقفًا لا يختلف عن موقف سابقيه من القدماء، وقد أشار إلى أنه سبق إلى هذا الرأي من قبل مصطفى صادق الرافعي الذي فطن لما يمكن أن يكون من تأثير القصص في نحل الشعر وإضافته إلى القدماء، إذ يقول: "كثر هذا الشعر الذي احتاج إليه القصاص لتزدان به قصصهم من ناحية، وليسيغها القراء والسامعون من ناحية أخرى... وفطن بعض العلماء إلى ما في هذا الشعر من تكلف حينًا، ومن سخف وإسفاف حينًا آخر، وفطن إلى أن بعض هذا الشعر يستحيل أن يكون قد صدر عن الذي ينسب إليهم ومن هؤلاء محمد بن سلام الذي أنكر – كما رأيت – ما يضيفه ابن إسحاق إلى عاد وثمود وحمير وتبع، وأنكر كثيرًا ما رواه ابن إسحاق في السيرة من شعر الرجال والنساء سواء منهم من عرف بالشعر، أو لم يقل شعرًا قط، وآخرون غير ابن سلام أنكروا ما روى ابن إسحاق وأصحابه القصاصون، نذكر منهم ابن هشام"[1]. وقد أجمع الدارسون أن دراسة طه حسين لموضوع القصص وأثره في نحل الشعر لم يأت فيها بجديد، وإنما كانت ترديدًا لكلام سبق أن ذكره ابن سلام وغيره من النقاد.

وإلى هذا يشير محمد الخضر حسين: "كتب المؤلف في القصص ولم يأت بجديد وإنما مديده إلى ما تحدث به الكتاب من قبله وسماه نظرية له"[2].

([1]) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٥٤.

([2]) محمد الخضر حسين: نقض كتاب "في الشعر الجاهلي"، ص٢٤٥.

ويرى محمد فريد وجدي: "أن ما ذكره طه حسين عما يروى عن عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعماليق وعن تبع وحمير وشعراء اليمن وأخبار الكهان وما يتصل بسيل العرم من أن ما ورد عنه أو أكثره موضوع ومبالغ فيه، صحيح نوافقه عليه"(١).

أما شوقي ضيف فيعتقد أن مسألة القصص وصلته بنحل الشعر مسألة تنبه لها النقاد قديمًا، فيقول ردًا على طه حسين: "ونراه يتحدث عن القصص والقصاص وأثرهم في وضع الشعر، ومر بنا تنبيه ابن سلام على ذلك عند ابن إسحاق وأضرابه"(٢).

ويوافقه المسلوت "بأنه كان لدى العرب قصص زينها بعضهم بما توهم أنه يزينها من شعر، وفطن بعضهم إلى ما يحمل الشعر في ثناياه من دلائل وضعه واختلاقه"(٣).

وهو رأي الخضري أيضًا(٤).

ويرى طه حسين :أن هناك علاقة بين القصاص وجهله الناس ووضع الشعر، ولذلك فإن أصحاب الجد من المسلمين انصرفوا عن القصص؛ لأنه يمضي مع الخيال ويتقرب من أهواء الشعب، ومن ذلك وضع الشعر"(٥).

وقد رد الرافعي على هذا بقوله: "ونحن نقرر أنه لم يكن يقص في أولية هذا الفن الإسلامي إلا أصحاب الجد من المسلمين، ومثل على ذلك بالحسن البصري"(٦).

أما محمد فريد وجدي فيرى: "أن بنية العالم الإسلامي لفظت القصاص من يوم أن ظهروا بعد خلافة عمر بن الخطاب... وذلك أنهم كانوا يخلطون بين الإسلاميات وبين ما يجمعونه من هنا وهناك من أخبار الأمم وأخبار الأفراد"(٧).

ومع ما بين هذين الرأيين من اختلاف، إلا أننا لا نجد تعارضًا بينهما، فالحسن البصري كان من العلماء المشهود لهم بالثقة وجلال القدر، أما ما أراده محمد فريد

---

(١) محمد فريد وجدي: نقد كتاب الشعر الجاهلي، ط١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٢٦) ص١٤١.

(٢) شوقي ضيف: العصر الجاهلي، ص١٧٣.

(٣) عبدالحميد المسلوت: نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، ص١٨٤.

(٤) محمد الخضري: محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي، ص٥٢.

(٥) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٤٩.

(٦) الرافعي: تحت راية القرآن، ص٢٥٤.

(٧) محمد فريد وجدي: نقد كتاب الشعر الجاهلي، ص١٤٣.

وجدي، فهم قصاص قلة ظهروا بعد خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– كانوا يقصون عن غيٍ وضلالة، وهم الذين أنكر عليهم. أما وضع الشعر في رأي الرافعي فإنه لم يظهر بشكل واضح إلا بعد أن كثر القصاص وشاع أمرهم، وليس في أول ظهور هذا الفن.

وإلى هذا يشير طه حسين ولكن بشيء من المبالغة، فهو يرى أن القصاص كانوا يستعينون بأفراد من الناس يجمعون لهم الأحاديث والأخبار ويلفقونها، وآخرين ينظمون لهم القصائد وينسقونها، فهي عملية منظمة إلى حد كبير[١]، وقد أنكر هذا الرأي الرافعي بقوله: "ومن هؤلاء الذين يعنتون أنفسهم ويكدون الذهن في عمل الشعر ليسمعوه بعد ذلك مرويًا لعاد وثمود[٢]. إلا أن طه حسين يزعم أن لديه نصًا يبيح له هذا الافتراض وهو قول ابن إسحاق" لا علم لي بالشعر، إنما أوتى به فأحملـه"[٣]، ويذهب بعض الدارسين إلى أنه لا علاقة بين افتراض طه حسين وقول ابن إسحاق، فالغمراوي يرى: "أن اعتذار ابن إسحاق اعتذار جاهل بالشعر، أدرك أن فيما رواه شعرًا رديئًا فاسدًا لا خير فيه، واكتفى بالدفاع عن نفسه بذلك الاعتذار"[٤].

أما الرافعي، فيرى أنه إذا كان هذا الشعر على هذه الصفة، لم لا يكون من عمل ابن إسحاق الذي لا علم له بالشعر، والاعتذار تلفيقًا من كذبه.. ثم إذا كان هناك قوم يصنعون الشعر لِمَ لَمْ يختر ابن إسحاق لعمل الشعر شعراء يأتون بالجيد[٥].

والحق أنه إذا افترضنا أن هناك مصانع لعمل الشعر في زمن ابن إسحاق كما يرى طه حسين، فهل سيغيب هذا عن فطنة النقاد القدماء في ذلك العصر وعن مؤلفاتهم، وخصوصًا أنه كان في زمن ابن إسحاق علماء بالشعر أوتوا من الخبرة والدربة ما جعله يعتذر لهم عن رواية هذا النوع من الشعر الرديء. يقول الخضري: "لم يكن إذًا هؤلاء القصاص بمرتع خصب يبيح لهم أن يقولوا ما يشاؤون وينشروه في

---

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٥٢.

(٢) الرافعي: تحت رأيه القرآن، ص٢٤٥.

(٣) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٥٢.

(٤) الغمراوي: النقد التحليلي لكتاب "في الأدب الجاهلي" د.ط (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م) ص٢٤٥.

(٥) مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، ص٢٤٥.

الناس، من غير أن يكون عليهم رقيب يظهر للناس عوارهم ويرد عليهم.."[١]. ومع تسليمنا بمبالغات القصاص وأعاجيبهم في هذا الموضوع، فإنه لا ينبغي أيضًا تعميم هذا الحكم على كل القصص الذي يتصل بالأسماء الموغلة في القدم وما ارتبط بها من أمثال كما يرى طه حسين في كل شعر يضاف إلى جذيمة الأبرش، زهير بن جناب، ومالك وسعد ابني زيد مناة بن تميم وغيرهم، إذ يقول: "فليس لهذا كله إلا أصل واحد، وهو تفسير طائفة من الأمثال، ذكرت فيها أسماء هؤلاء الناس كلهم أو بعضهم"[٢].

وهذا النوع من الشعر يسهل كشف المنحول فيه، وعزله عن الصحيح، وليس كما ذكره طه حسين الذي يرى "أن القدماء قبلوا هذه الأخبار والأشعار على علاتها، ورووها على أنها صحيحة لأنهم سمعوا من رواة كانوا يعتقدون أنهم ثقات مصححون"[٣]. وينقض هذا الرأي، رأي الرافعي، فيقول "فالرواة إنما نقلوا من هذا ونحوه وما انتهى إليهم، فإن كان فيه الكذب ففيه الصدق، وإن كان فيه الموضوع ففيه الصحيح"[٤].

وحقيقة لا يمكننا رفض الشعر الذي قيل في الأمثال، لأننا لو حذفناه، سنحذف جانبًا مهما من الشعر الجاهلي يؤكد أن العرب في الجاهلية كان لهم قصص، وكان قصصًا شائعًا معروفًا ضربت حوله الأمثال، يؤكد هذا علي عبدالحليم محمود في دراسته عن القصص في الشعر الجاهلي حيث يرى "أن هذه الأمثال التي ارتبطت بأسماء بعض الأشخاص القدماء أو بعض الأحداث القديمة هي أصول وجذور لقصص معروف في حينه – ذلك أن كثيرًا من أشعار الجاهلية جاءت فيه إشارات إلى قصص تلك الأمثال المعروف لدى جمهور الشعراء، وليس المبرزين منهم فقط"[٥].

ولعل قبول مثل هذه الأشعار التي تحمل إشارات تاريخية إلى قصص قديم، تؤكد على ناحية أخرى وهي اتصال الجاهليين بالأمم المجاورة، ونفي العزلة عنهم، وهو الأمر الذي شكك فيه طه حسين، وجعل ما يروى حوله من أشعار وأخبار في قائمة الشعر الموضوع، ويبدو طه حسين في هذا الرأي متناقضًا، إذ إنه في بداية حديثه

---

(١) محمد الخضري: محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي، ص٥٢.

(٢) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٥٧.

(٣) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٥٧.

(٤) مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن، ص١٩٦.

(٥) علي عبدالحليم محمود: القصة في الشعر الجاهلي، د.ط (القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص٢٦٦.

ذكر أن الشعر الجاهلي لم يصور العلاقات الخارجية للعرب، وأن هذا من أسباب شكه في هذا الشعر[١]، ثم يعود ويرميه بالاختلاق لأن فيه نصوصًا تتصل بما كان بين العرب والأمم القديمة من العلاقات قبل الإسلام[٢].

وقد عارض محمد الخضر حسين هذا الرأي بقوله: "وهل يصدق أحد أن من يدرسون الشعر الجاهلي يتصورون العرب أمة معتزلة في صحراء... ثم يورد شعرًا جاهليًا فيه دلالات على معرفة العرب بالأمم المجاورة وعلى صلاتهم بهم"[٣].

ويوافق هذا الرأي محمد الخضري، فيقول ردًا على رأي طه حسين المتناقض حول علاقات العرب قبل الإسلام:

"بقي أن نسأله: مَنْ مِنَ الرواة أثبت هذه العزلة العربية قبل الإسلام؟ والتاريخ والشعر يدلاننا على أن فريقًا عظيمًا من العرب كانوا متصلين بالفرس اتصالاً وثيقًا.

وكان منهم ملوك يدينون بالطاعة لملوك الفرس، وهم اللخميون ملوك الحيرة، ومن هؤلاء شعراء، وأن فريقًا عظيمًا كانوا متصلين بالروم اتصالاً وثيقًا، وكان منهم ملوك يدينون بالطاعة لملوك الروم، وهم الغسانيون ملوك الشام، ومن هؤلاء شعراء، وكانت ربيعة كلها تسكن على حدود العراق وتتصل بالفرس بواسطة المناذرة ملوك الحيرة، ولهم شعراء مشهورون، وقريش كلها كانت لها رحلتا الشتاء والصيف إلى اليمن والشام. ولم يبق بعيدًا عن هذه الصلات إلا شعراء قيس من أهل نجد، على أنهم كثيرًا ما كانوا يتصلون بملوك الشام والحيرة.. فكيف يكون حديث العزلة التي استبعدها مرة، واتخذ القول بها دليلاً على خطأ من يلتمسون تاريخ العرب في الشعر الجاهلي"[٤].

والحق أنه لا ينكر أحد ما كان بين العرب الجاهليين والأمم الأخرى من صلات ظهر أثرها واضحًا في ثقافة الشاعر الجاهلي، يقول "كارل نالينو": "وربما حفظوا شيئًا من تاريخ الأمم المجاورة لهم مثل أهل تدمر والفرس والروم والعبرانيين، كما يظهر من إشارات إليها وردت في أشعارهم، وإن كانت الأحاديث الخرافية قد

---

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص٧٥.

(٢) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٥٩.

(٣) محمد الخضر حسين: نقض كتاب "في الشعر الجاهلي"، ص٥٧.

(٤) محمد الخضري: محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي، ص١٣-١٤.

تسربت إلى تلك الحكايات ولعلها هي أساطير الأولين التي كان كفار مكة يشبهون بها إنذارات القرآن وقصصه"[١].

ويوافقه في هذا الرأي، علي عبدالحليم محمود فيقول: "وهو كلام منطقي قامت على صدقه الأدلة من أشعار العرب ومأثوراتهم.. فمن الثابت أن العرب في المجتمع الجاهلي لم يكونوا في عزلة مما يجاورهم من المجتمعات ولا بمنأى عما يدور حولهم من صراع الحضارات"[٢]. وفي الحقيقة، إن في إنكار العلاقات التاريخية إنكارًا لمنبع مهم استمد الشاعر الجاهلي ثقافته التاريخية منه، وصورها الشعر الجاهلي حتى أصبح مصدرًا مهمًا لا لتماس تاريخ العرب فيه.

أما حديث طه حسين عن الرواة فالغالب عليه التعميم، فقد شكك فيهم وعدهم من الأسباب الداعية إلى نحل هذا النوع من الشعر، يقول: "ولست أذكر هاهنا إلا اثنين، إذا ذكرتهما فقد ذكرت الرواية كلها، والرواة جميعًا، فأما أحدهما فحماد الراوية، وأما الآخر فخلف الأحمر"[٣] ثم يورد بعض الأمثلة يستدل بها على كذب حماد وخلف، بشهادة المعاصرين لهما واللاحقين. ثم يضيف إليهما أبا عمرو الشيباني الذي يقولون إنه جمع شعر سبعين قبيلة، وبسخرية يرى أن أبا عمرو الشيباني كان يؤجر نفسه للقبائل يجمع لكل واحدة منها شعرًا فيضيفه إلى شعرائها"[٤] ويبطل هذا الزعم محمد الخضر حسين بقوله: "إن إيجار عالم كأبي عمرو الشيباني لا يمكن أن يكون قد حدث من غير أنه يتنبه له القدماء ويشيروا إليه، وأن طه حسين لم يبن حكمه هذا إلا على الظن والتخيل"[٥].

ويصل طه حسين إلى نتيجة هي: "إذا فسدت مروءة الرواة كما فسدت مروءة هؤلاء الرواة وأحاطت بهم مثل هذه الظروف كان من الحق علينا ألا نقبل مطمئنين ما ينقلون إلينا من شعر القدماء"[٦].

---

(١) كارل نالينو: تاريخ الأدب العربي من الجاهلية حتى عصر بني أمية، تقديم: طه حسين، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص٩٥-٩٧.

(٢) علي عبدالحليم محمود: القصة العربية في الشعر الجاهلي، ص٦٠.

(٣) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٩٦.

(٤) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٧١.

(٥) محمد الخضر حسين: نقض كتاب "في الشعر الجاهلي"، ص٢٧٤.

(٦) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٧١.

ولم يقف عند اتهام هؤلاء فحسب.. بل حتى الذين يصفهم بأنهم لم تفسد مروءتهم ولم يعرفوا بفسق ولا مجون ولا شعوبية مثل أبي عمرو بن العلاء والأصمعي أيضًا وغيرهما كثير كذبوا وتكلفوا الشعر ووضعوه[١]، ثم ينتقل إلى رواة الأعراب الذين كان رواة الأمصار يرحلون إليهم في البادية يلتمسون لديهم الصحيح والغريب، ويقول في سخرية "فليس من شك عند من يعرف أخلاق الأعراب في أن هؤلاء الناس حين رأوا إلحاح أهل الأمصار عليهم في طلب الشعر والغريب وعنايتهم بما كانوا يلقون إليهم منها، قدروا بضاعتهم، واستكثروا منها"[٢].

والملاحظ على أول حديثه عن الرواة أنه عمد إلى المبالغة في اتهام جميع الرواة بمجرد ذكر حماد الراوية (١٥٦هـ) وخلف الأحمر (١٨٠هـ) على الرغم من شهادة الرواة الثقات لهما، فهذا العالم الثبت أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) كان يعترف بسبق حماد ومكانته، وكان يقدم حمادًا على نفسه[٣]. وهذا الأصمعي يقول: "كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد الراوية، إلا شيئًا سمعناه عن أبي عمرو بن العلاء"[٤].

أما خلف الأحمر فكان يقول عنه ابن سلام رأيًا صائبًا، "اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر، وأصدقهم لسانًا، كنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبرًا، أو أنشدنا شعرًا، أن لا نسمعه من صاحبه"[٥].

ثم يعمد طه حسين إلى اتهام أبي عمرو الشيباني (٢١٣هـ) (٢٠٦هـ) بلا سند أو دليل، رغم أنه يذكر أن خصومه قالوا عنه "إنه كان ثقة"[٦] ويشير إلى كذب بعض الرواة الثقات والعلماء الأجلّاء كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي.

والجدير بالذكر أن طه حسين ومن سبقه من المستشرقين اهتموا بالحديث عن عيوب الرواة ونقاط الضعف فيهم، وبالغوا فيها، دون أن يتحدثوا عن شيء مما

---

(١) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٧١.

(٢) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٧٢.

(٣) الأصفهاني: الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦م) ٧١/٦.

(٤) جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت) ٤٠٦/٢.

(٥) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ص٢٣.

(٦) طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص١٧١.

امتاز به أكثرهم من أمانة وقوة حفظ وسعة علم. وقد رد على هذا الزعم محمد لطفي جمعة، محاولاً إيجاد حل لتلك التهم بقوله: "وإذا كان بعض المتعاصرين والأنداد من الرواة طعن بعضهم في بعض، فليس في الطعن حجة أو دليل على صحة التهمة؛ لأن اتحاد الحرفة والمنافسة في الشهرة، والمزاحمة على نيل الخطوة قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والغيرة، ولهذا قال الأقدمون: إن المعاصرة حجاب، حتى إن رواة ثقات كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد كانوا يتطاعنون، ويضعف كل منهم رواية صاحبه، ولكن المحققين ينزهونهم عن الكذب"[1].

إذن التنافس الشخصي، واتحاد الحرفة، واختلاف القدرات أيضًا، كان وراء تجهيل بعض الرواة لبعضهم الآخر والطعن فيهم ومحاولة الإنقاص من قدرهم، يقول العالم ابن جني (٣٩٢هـ): "إننا نجد علماء هذا الشأن من البلدين، والمتحلِّين به في المِصْرين، كثيرًا ما يهجن بعضهم بعضًا، ولا يترك له في ذلك سماءً ولا أرضًا"[2].

ثم إن هذا التنازع والتخاصم لم يكن قادحًا في هؤلاء الرواة الثقات، ولا فيما نقلوه ورووه، يقول ابن جني: "وإذا كانت هذه المناقضات والمثاقفات موجودة بين السلف القديم، ومن باء فيه بالمنصب والشرف العميم، ممن هم سُرُج الأنام، والمؤتمّ بهديهم في الحلال والحرام، ثم لم يكن ذلك قادحًا فيما تنازعوا فيه، ولا غاضًّا منه"[3].

وأخيرًا فإن هذه أهم وأبرز آراء وملاحظات الدارسين من المحدثين ومن سبقهم من القدماء حول ما ورد في الشعر الجاهلي من إشارات تاريخية، والحقيقة أن معظم ما بين هؤلاء المحدثين والقدماء هو ترديد لكلام قيل، وتسليم بآراء وضعت، والمهم هنا هو نشاط هؤلاء لامن حيث أنه استنتاج لم يسبق إليه أحد، ولكن من حيث أنه كان دعمًا وليس نقضًا لاستنتاج قديم سبق إليه العلماء الثقات كابن سلام والمفضل الضبي (١٦٨هـ) (١٧٠هـ) والأصمعي، إذ إن من المعلوم عند هؤلاء أنه لابد أن يكون هناك أشعار مختلقة ومنحولة حوت إشارات تاريخية، ولكن ليس من العدل أن يطعن في جميع الأشعار وترمى بالزيف، فكان ينبغي أن لا يبالغ المحدثون من أمثال "مارجليوث" وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهي إلى رفضه، فإن ما تضافرت

---

(١) محمد لطفي جمعة: الشهاب الراصد، ص٢٧١.

(٢) أبو الفتح، عثمان بن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢ (دار الكتب المصرية، د.ت) ٣١٢/٣.

(٣) أبو الفتح، عثمان بن جني: الخصائص، ٣١٣/٣.

الروايات والأخبار على صحته وأصالته لابد أن يقبل، أما ما ظهر فيه الاختلاق والوضع، أو كان مثيرًا للشك، فيستدعي البحث والتحري حتى تتبين حقيقته؛ لأن هذا العلم لا يمكن أن يستقيم على اتباع الظن ولا أن يصح على الشك.

قائمة المصادر والمراجع

ابن منظور، جمال الدين:
لسان العرب، مراجعة: نخبة من الأساتذة المتخصصين، د.ط (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

الأعشى، ميمون بن قيس:
ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، ط٧ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

ابن مقبل، تميم بن أُبيّ:
ديوانه، تحقيق: عزة حسن (دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م).

الصفدي، صلاح الدين:
الوافي بالوفيات، عناية: جاكلين سوبله وعلي عماره، ط٢، إشراف: (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت على مطابع دار صادر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

بدوي، عبدالرحمن:
دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ط١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).

بلاشير، ريجيس:
تاريخ الأدب العربي، تعريب: إبراهيم كيلاني، د.ط (بيروت: دار الفكر، د.ت).

مارجليوث، د.س:
أصول الشعر العربي، ترجمة: يحيى الجبوري، د.ط (بغداد: مؤسسة الرسالة، د.ت).

القرشي، ابن كثير:
البداية والنهاية، تحقيق: عبدالرحمن اللادقي ومحمد بيضون، ط٩ (بيروت: دار المعرفة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
تفسير القرآن العظيم، د.ط (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

المسلوت، عبدالحميد:
نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، د.ط (القاهرة: دار القلم، د.ت).

السيوطي، جلال الدين:
المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).

الأسد، ناصر الدين:
مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٨ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٦م).

الجمحي، ابن سلاّم:
طبقات فحول الشعراء، قراءة وشرح: محمود محمد شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، د.ت).
الذبياني، النابغة:
ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
الجاحظ، عمرو بن بحر:
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، د.ط (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧٦هـ/١٩٤٨م).
الحيوان، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، د.ط (بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
الميمني، عبدالعزيز:
الطرائف الأدبية، د.ط (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
ابن قتيبة، عبدالله:
فضل العرب والتنبيه على علومها، تحقيق: وليد خالص، ط١ (أبوظبي: المجمع الثقافي، ١٩٩٨م).
الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، د.ط (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م).
المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٤ (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
المعري، أبو العلاء:
رسالة الغفران، تحقيق وشرح: عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطىء"، ط٤ (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
العماري، فضل:
تأصيل الشعر الجاهلي، ط١ (الرياض: مركز حمد الجاسر الثقافي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).
البغدادي، عبدالقادر:
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط١ (مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، د.ت).
ابن زهير، كعب:
ديوانه، صنعة الإمام أبي سعيد السكري، شرح ودراسة: مفيد قميحة، ط١ (الرياض: دار الشواف – جدة: دار المطبوعات الحديثة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

القرشي، أبو زيد:
جمهرة أشعار العرب، تحقيق: محمد علي الهاشمي، د.ط (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
القيرواني، ابن رشيق:
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط٤ (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٢م).
ابن أبي سلمى، زهير:
شرح شعره، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط١ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
الأصفهاني، أبو الفرج:
الأغاني، تحقيق وإشراف ومراجعة: عبدالستار أحمد فراج – عبدالله العلايلي وآخرون (بيروت: دار الثقافة – حريصا: المطبعة البولسية، ١٩٥٥-١٩٦٢م).
السكري، أبو سعيد:
شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، راجعه: محمود شاكر، د.ط (القاهرة: مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، د.ت).
الأنباري، أبو بكر:
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبدالسلام هارون، د.ط (القاهرة: دار المعارف د.ت).
جمعة، لطفي:
الشهاب الراصد، ط١، د.ت.
مونرو، جيمز:
النظم الشفوي، ترجمة: فضل العماري، د.ت.
الرافعي، مصطفى صادق:
تاريخ آداب العرب، ط٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).
تحت راية القرآن، د.ط (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).
حسين، طه:
في الأدب الجاهلي، ط١٧ (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
الجندي، علي:
في تاريخ الأدب الجاهلي، د.ط (القاهرة: دار غريب، د.ت).
حسين، محمد الخضر:
نقض كتاب "في الشعر الجاهلي" د.ط (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت).

مكي، الصادق:
ملامح الفكر الديني، ط١ (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩١م).
ابن أبي الصلت، أمية:
ديوانه، تحقيق ودراسة: عبدالحفيظ السطلي، ط٣ (دمشق: المطبعة التعاونية، ١٩٧٥م).
الخضري، محمد:
محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب "في الشعر الجاهلي" مجلة القضاء الشرعي، القاهرة، د.ت.
ابن جني، أبو الفتح عثمان:
الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢ (دار الكتب المصرية، د.ت).
سليم، سناء أحمد:
توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأمية بن أبي الصلت الثقفي، رسالة ماجستير، إشراف: د. إحسان الديك (نابلس: جامعة النجاح الوطنية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
البيومي، محمد رجب:
موقف النقد الأدبي من الشعر الجاهلي، د.ط (مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت).
مجموعة من المؤلفين:
دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبدالحميد يونس، د.ط (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
وجدي، محمد فريد:
نقد كتاب الشعر الجاهلي، ط١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٢٦م).
ضيف، شوقي:
العصر الجاهلي (مصر: دار المعارف، ١٩٦٦م).
الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط١٤، الطبعة الأصلية (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨م).
الغمراوي، محمد أحمد:
النقد التحليلي لكتاب "في الأدب الجاهلي" د.ط (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م).
محمود، علي عبدالحليم:
القصة في الشعر الجاهلي، د.ط (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
نالينو، كارل:
تاريخ الأدب العربي من الجاهلية حتى عصر بني أمية، تقديم: طه حسين، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، د.ت).